النزاع التركي ـ المصري على
وتدخل الحكوم

دراسة تحليلية للغلاف الذى
نشب حول احقية امتلاك هذا
الجـــزء الشمالى الغربى من شبه
الجزيرة العربية على ضوء الوثائق
البريطانية العثمانية

للدكتور صالح محمد العمرو
رئيس قسم التاريخ ـ آداب الرياض

شمال الحجاز وسيناء
بريطانية (١٨٨٤-١٩٠٦)

قبل ان ندخل في تفاصيل موضوعنا هذا لا بد من اعطاء فكرة ولو موجزة عن الظروف التي مهدت لحاكم مصر محمد علي باشا-التابع للدوله العثمانية اسميا - للاستيلاء على الحجاز · ذلك :لاستيلاء الذي اعطى احفاده صبغة شبه شرعيه للدخول في منازعاتمعالدولة العثمانية حول امتلاك منطقة شمال الحجاز وسيناء ·

كما هو معروف ان الحجاز دخل طواعيته في سنة ١٥١٧ تحت حكم الدولة العثمانية ، وذلك عندما اوسلالشريف بركات ابنهابونمي الى مصر ومعه مفاتيح الكعبة ليسلمها للسلطان العثماني سليمالاول، كرمز لخضوع والده ، وان الحجاز اصبح جزءا من الدولة العثمانية·

لقد اكتفى سليمن بركات بالاعتراف الاسمي للسيادة العثمانيةوذكر اسمه في خطب الجمعة والاعياد · ومنذ ذلك الحين وحتى بداية القرن التاسع عشر والسلطة الحقيقية تتركز بيد الاشراف . ولم يحـــاول الاتراك - ان الذين كانوا فيما يبدوا قانعين بهذا الوضع او غير مكترثين لما كان يحدث في الحجاز - ان يقضوا على الشرافة ويحكموا الحجاز حكما مباشرا ·

ولكن في بداية القرن التاسع عشر طرات احداث جديدة على منطقة الحجاز جعلت السلطان محمود الثانى (١٨٠٨ – ١٨٣٩) يتدخل في شئونها ، هذه الاحداث هى استيلاء السعوديين على الحجاز في الفترة مابين ١٨٠٢ – ١٨١١ م ٠

لم يكن هذا الحدث بالشيء الهين على سلطان كان يعلق أهمية كبرى على حيازته للاماكن المقدسة والادعاء بكونه حــامى الحرمين الشريفين ٠ وبما أنه لم يكن باستطاعته ان يسير جيشا عثمانيا لاسترداد الحجاز، ذلك بسبب ضعف الدولة العثمانية انذاك وكثرة مشاكلها الداخلية والخارجية لهذا التفت الى ولاة المناطق العربية القريبة من الحجاز ليحققوا له هذا الهدف ٠ وبما أن ولاة العراق والشام قد سبق وأن فشلوا حتى فى صد السعوديين عن اراضيهم ، لذلك لم يكن أمام السلطان الا اختيار واحد وهو وهو أن يجرب حظه مع والى مصر محمد على الذى كان انذاك قد استطاع أن يثبت مركزه فى مصر بعد أن قضى على خصومه ٠

استجاب محمد على لطلب السلطان واستطاع فى غضون خمس سنوات ١٨١١ – ١٨١٥ م ان يستولى على الحجاز ولكنه بدلا من ان يعيده للدولـة العثمانية – كما هو المفروض – ابقاه لنفسه٠كان محمد على يدرك مدى ضعف الدولة العثمانية وكان يحلم باقامة امبراطورية عظيمة على حسابها ، لذلك لم يكتف بالاستيلاء على الحجاز واجزاء كبيرة من الجزيرة العربية بل وجه جهوده وامكانياته للقضاء على الدولة العثمانية ٠ وقد استطاع جيشه الذى كان تحت قيادة ابنه ابراهيم أن يستولى على الشام وأن يلحق هزيمة منكرة بالجيش العثمانى فى نصيبين سنة ١٨٣٩م ٠ وكان باستطاعة ابراهيم باشا أن يستولى على العاصمة العثمانية بعد ان صار الطريق أمام جيوشه مفتوحا بعد نصيبين لولا وقوف الدول الاوروبية خاصة انجلترا والنمسا فى وجهه واجباره فى سنة ١٨٤٠م على الانسحاب من جميع الاراضى التى احتلها بما فى ذلك الحجاز ٠

حقيقة أن محمد على سحب جيوشه وممثليه من المدن الحجازية الكبيرة ولكنه ابقى على العاميات المصرية فى موانيء الوجه والمويلح وضبا والعقبة فى شمال الحجاز ٠ هذه الموانيء الصغيرة لم يكن لها اية اهمية تجارية أو استراتيجية ولكنها كانت تمتلك ميزة خاصة وهى كونها تقع فى طريق الحج المصرى ٠ وفى الغالب انه لولا هذه الميزة لما فكر محمد على بابقائها تحـت حكمه ٠

كان الاتراك يعرفون انذاك أن بقاء هذه الموانيء تحت الحكم المصرى غير شرعي وانه يتعارض مع الفقرة الملحقة لمعاهدة لندن سنة ١٨٤٠م حول انسحاب المصريين من جميع الاملاك العثمانية ، ولكنهم على رغم ذلك لم يثيروا هذا الموضوع لعدم اهميته بالنسبة لهم ·

أما المصريون الذين حصلوا على مركزهم هذا عن طريق الامر الواقع لا عن طريق الاتفاق فقد استمروا فى ادارتهم لهذه الاماكن وارسال الجنود لها (١) لحماية حجاجهم المارين بهذه الاماكن حتى عام ١٨٨٧ م ·

لم يحاول الاتراك حتى عام ١٨٨٤ أن يتدخلوا فى شئون هذه الموانيء او يعطوها اية أهمية ، وحتى سلاطينهم فى مراسيم تنصيبهم لخديوات مصر كانوا يتعمدون تجاهل اثارة موضوع هذه الاماكن · ولكن فى أواخر هذه السنة بدأت الامور تأخذ مجرا اخر ، وذلك عندما اتضح لوالى الحجاز القدير عثمان نورى باشا ١٨٨٢ ــ ١٨٨٦ أن المصريين يحاولون تمكين مركزهم فى هذه الاماكن عن طريق بناء قلاع جديدة فى بلدة الوجه اخر هذه الموانيء من ناحية الجنوب ·

حالما تأكد عثمان نورى باشا مما يجرى فى الوجه أبرق الى الصدر الاعظم يخبره بذلك ، وفى نفس الوقت ارسل مذكرة الى استانبول يشرح فيها الوضع ، ويؤكد أن المصريين ليس لهم أى حق فى أن يكونوا هناك ، وانهم انما تركوا فقط يديرون هذه الاماكن لانها تشكل نقطة وصل فى طريق حجاجهم الى الاماكن المقدسة ، كما أوضح أن حدود ولاية الحجاز فى السابق تمتد حتى خليج العقبة · وختم الوالى مذكرته باقتراحه انه يجب أن تعين حدود الحجاز بشكل لا يسمح لاية دولة اجنبية قد تحتل مصر فى المستقبل (٢) ان تدعى الحق فى التدخل فى شئون الحجاز (٣) ·

بعد اجتماع وزارى فى استانبول قرر الباب العالى باتفاق مع الخديوى (٤) ارسال قوة عثمانية صغيرة من الحجاز لاحتلال الوجه (٥) · ومع أن العثمانيين لم يقوموا فى الحال بارسال هذه القوة الا أنه يبدو أن استرداد هذه الموانيء بات من الامور البديهية بالنسبة للسلطان وحكومته ·

والسؤال الذى يتبادر الى الذهن هنا هو : هل كان نشاط المصريين فى الوجه هو السبب فى عزم الاتراك على استرداد هذه الاماكن ؟ أو انهم انما اتخذوا من هذا النشاط حجة لتدخلهم ؟ ·

لا شك أن الاتراك كانوا عازمين على استرداد هذه الاماكن وانهم انما

اتخذوا من نشاط المصريين هناك مبررا لتنفيذ ما عزموا عليه وذلك لعدة اسباب : ـ

١ ـ أن فتح قناة السويس فى عام ١٨٦٩ اعطى اهمية خاصة للمنطقة مما جعل الدولة العثمانية تحاول احكام قبضتها ليس فقط على الحجاز وانما على اماكن اخرى غيرها فى غرب الجزيرة العربية مثل اليمن وعسير •

٢ ـ ان فتح قناة السويس ادى الى استغناء الحجاج المصريين عن المرور فى هذه الاماكن ، واذا فمن البديهى أن تعود ملكية هذه الاماكن الى اصحابها الشرعيين •

٣ ـ أن مجرد حصول الاتراك على ارض مدين التى تقع فيها هذه الموانىء ستوفر عليهم الاضطرار الى المرور عبر القناة ، وما يترتب عليه من رسوم ، وما ينتج عنه من احراج، اذ كيف يدفعون رسوما لبلد يعتبرونه جزءا من امبراطوريتهم (٦) •

٤ ـ أن الاتراك قد يتسامحون أو يغضون النظر عن ترك هذه الاماكن تدار بواسطة حكومة ضعيفة كالخديوية ، ولكن مادام الامر قد تغير واصبحت مصر نفسها تدار بواسطة الحكومة البريطانية منذ سنة ١٨٨٢ ، فلا بد من المطالبة بهذه الاماكن ، لانهم ان اهملوها فستعتبرها الحكومة البريطانية جزءا من الاراضى المصرية ، وبهذا تقترب مناطق النفوذ البريطانى كثيرا من الاماكن المقدسة ، التى يعتبرها السلطان عبد الحميد فى اكثر من وجه أعظم أهمية من أية منطقة فى الامبراطورية •

بعد ثلاث سنوات مما حصل فى سنة ١٨٨٤ م ارسل الاتراك قوة تركية من الحجاز تقدر بمائتى جندى ليحتلوا الوجه ، ثم اتبعوا هذه الخطوة بارسال قائمقام وموظفين ليديروا شئونها (٧) وقد دخلت القوة التركية الوجه بدون مقاومة من الحامية المصرية التى لم تنسحب فى الحال من الميناء • ويبدو ان بقاءها هذا كان راجعا الى رغبة البريطانيين ، لا عن تغير فى سياسة الخديوى الذى كان قد وافق فيما قبل على تسليم الوجه للاتراك ••

أنه من دواعي السخرية أن يقف البريطانيون في صف خديوى مصر ويحاولون القناعه بالاحتفاظ بهذه الاماكن بعد أن وقفوا في الماضي ضد جده محمد على واجبروه على الانسحاب من جميع الاراضى التى احتلها من الدولة العثمانية هدا منه الاماكن التى لو كان لها اية قيمة انذاك ما سمحوا له البقاء فيها . لقد وقفوا الان ضد الدولة العثمانية التى كانوا قد وقفوا في صفها في الماضي وانقذوها من انهيار محقق على يد محمد على. ولكن على أية حال لم يكن تصرف البريطانيين في كلتا الحالتين نابعا من حبهم لهذا أو لذاك وانما كانوا يتصرفون طبقا لمصالحهم الخاصة . ففي الماضي كان في سيطرة محمد على القوى على شاطىء البحر الاحمر وقضائه على الدولة العثمانية خطرا اكيدا يهدد مصالحهم الخاصة في المنطقة وطريق مواصلتهم للهند ، بينما قد اصبحوا حكام مصر الفعليين بعد عام ١٨٨٢ فمن مصلحتهم ان تشمل الاراضى المصرية جميع المناطق القريبة من القناة.

حالما احتل الاتراك الوجه ارسل القنصل العام البريطاني في مصر سير افيلن بيرنج الذى صار اسمه فيما بعد لورد كرومر ، برقية الى حكومته يخبرهم فيها بما حدث ويشير الى أن الاتراك ليس لهم الحق بامتلاك الوجه . ولكنه يخبرهم فيها بما حدث مشيرا الى أن الاتراك ليس لهم الحق بامتلاك الوجه ولكنه في نفس الوقت يقترح انسحاب معظم الحامية المصرية ، اذ لم يعد لها أهمية كبرى هناك بعد أن صار الحجاج المصريون يسافرون الى الاماكن المقدسة عن طريق البحر بعد فتح قناة السويس (٨) .

لقد بنى اللورد كرومر نظريته على أن الاتراك ليس لهم الحق في استرداد هذه الاماكن على اساس المرسوم السلطاني لتولية الخديوى سنة ١٨٧٩ م (٨) . ولكن من الحقيقة ان الاساس الذى بنى اللورد كرومر نظريته عليه كان واهيا ، ولا شك انه يعلم ذلك ولكنه في محاولته لاثبات دعواه اشبه بالغريق الذى قد يتشبث بأى شيء في سبيل النجاة فالفرمان هذا لم يعين هذه الاماكن ضمن الاملاكالمصرية ، وكلما ذكره هو أن حدود الخديوية المصرية تشتمل على حدودها السابقة وما ضم اليها من اراض . ولم يكن يقصد في الفقرة الاخيرة من الفرمان مناطق شمال الحجاز ، اذ انه لم يحدث ابدا أن ضمت للاملاك المصرية ، وانما يشير الى اراضى

السودان واريتريا التي كان قد تنازل عنها السلطان للخديوي (١٠) •

ولكن على الرغم من اقتراح كرومر انه من الاحسن ابقاء بعض افراد الحامية المصرية في الوجه وموافقة حكومته على ذلك ، فان الحامية المصرية انسحبت جميعها تاركة الاتراك سادة المكان حتى الحرب العالمية الاولى •

لم ينته الخلاف بين الاتراك والمصريين حول منطقة شمال الحجاز بمجرد استيلاء الاتراك على الوجه ، بل أن هذا الاستيلاء كان في الحقيقة دافعا لهم ، ليطالبوا باستعادة بقية الموانىء شمال الوجه (قبا والمويلح والعقبة) • وكما أن بحث القضية أساسا جاء في السابق عن طريق ولاية الحجاز ، فان اثارة الموضوع ثانية ايضا جاء عن طريق نفس الولاية • ففي سنة ١٨٩١ م وبعد اربع سنوات فقط من استيلاء العثمانيين على الوجه ارسل والي الحجاز مذكرة الى حكومته يخبرهم فيها انه حصل على معلومات من قائمقام الوجه عن طريق محافظ المدينة ، تفيد بأن المصريين يقومون بتقوية حصونهم في موانىء المويلح وضبا والعقبة • وختم الوالي مذكرته بقوله : « اننا ننتظر موافقتكم ليقوم محافظ المدينة باتخاذ الخطوات اللازمة لاسترداد هذه الاماكن وطرد المصريين من هناك » (١١) •

كان السلطان عبد الحميد في هذه الفترة بالذات قد صمم على استعادة منطقة شمال الوجه مهما كلفه الامر ، والسبب في ذلك هو ماوصله من معلومات عن أن مجموعة من اليهود يحاولون أن يؤسسوا مستعمرات يهودية في هذه المنطقة ككل ، وفي منطقة العقبة بصفة خاصة • بل أن الاخبار وصلته بأن هؤلاء اليهود وصلوا فعلا للمنطقة ، وانهم استطاعوا الحصول على بعض الاراضي وبدأوا يهيئون لتأسيس القرى والمدن (١٢)•

لم تكن هذه المعلومات مجرد اشاعة بل انها كانت صحيحة ، والذي قام بالفكرة ومحاولة تنفيذها هو أحد يهود المانيا البارزين وهذا ما أثبته لورد كرومر ايضا عندما ذكر ان مجموعة من اليهود يسعون لانشاءمستعمرة على الشاطىء الشرقي لخليج العقبة (١٣) • وبسبب خشية السلطان عبد الحميد من استقرار اليهود في جزء من ممتلكاته ، قام سرا بطلب تسليم موانىء المويلح وضبا كخطوة اولية من الخديوي • ولا يستبعد أن يكون

السلطان قد صارح حاكم مصر بتخوفه من اليهود وخطرهم على البـــلاد الاسلامية • ولكن قبل أن تصل موافقة الخديوى أو عدمها بتسليم هذه الاماكن ، وصلت هناك فى أوائل سنة ١٨٩٢ قوة تركية من المدينة ،وطلب قائدها من قائد الحاميات المصرية تسليمه هذه الاماكن ، فرفض الاخيـــر الطلب قائلا انه لا يقبل الاوامر الا من القاهرة • وعندما علمت الحكومة المصرية بذلك خشيت من نشوب نزاع بين القوتين ، فأرسلت الى المويلح وضبا كتيبة صغيرة مكونة من خمسة وعشرين جنديا تحت قيادة ضابط انجليزى ، اعطى الاوامر بأن يحول دون نشوب نزاع أو مشاكل بيـــن القوتين المصرية والتركية (١٤) • ولقد تضايق السلطان كثيرا لوصول هذه الكتيبة ، خاصة انها وضعت تحت قيادة رجل اجنبى تقف دولته حجر

عثرة فى سبيل استعادته لهذه الاماكن • لذلك أوصى صدره الاعظم بأن يطلب من المصريين أن يضعوا حدا لهذا الوضع ، وذلك بسحب قواتهم من هناك وبدون تأخير ، واشعارهم بأن ارسال قوة بدون اذن مسبق مـــن السلطان أمر لن يكون مقبولا ابدا من الدولة العثمانية ، وانه يجب على مصر والولايات المحيطة بمنطقة النزاع ان يجتنبوا القيام بمثل هذهالاعمال غير المشروعة ، أو تكرار مثل هذه الحادثة • كذلك أوصاه بأن يكون مستعدا للدفاع عن موقف الدولة العثمانية الحازم بخصوص هذه الاماكن ، فى حالة اثارة السفير البريطانى فى استانبول لهذا الموضوع (١٥) •

لقد ادعت الحكومة العثمانية انه لم يكن لها علم مسبق بارسال قوة من المدينة لاحتلال هذه الاماكن ، وأن هذا كان راجعا الى تصرف والى الحجاز ، ولذلك امرت قوتها بالانسحاب الى المدينة (١٦) •

ولكن على الرغم من سحب القوة التركية ، فقد استمر السلطـــان وحكومته يطالبون بشدة باعادة ملكية هذه الاماكن اليهم • ففى فبراير ١٨٩٢ ارسلت الحكومة التركية برقية الى الخديوى جاء فيها أن المصريين انما سمح لهم فقط بادارة المويلح وضبا والعقبة كامتياز من السلطان لهم عندما كان محمل الحج المصرى يسافر عن طريق البر ، اما وقد تغير الوضع بعد فتح القناة حيث صار الحجاج يسافرون للاماكن المقدسة عن طريقها ، فقد انتهت ضرورة ابقاء هذه الاماكن تحت الادارة المصرية ، ولذلك فان الباب العالى يطالب باعادة ضمها الى الامبراطورية العثمانية • لقد اشارت

البرقية الى زيادة أهمية شواطىء البحر الاحمر والمناطق المطلة عليه لمواصلات الدولة بعد فتح القناة واكدت أن منطقة النزاع (ضبا والمويلح والعقبة) لم تدخل ابدا فى حدود مصر التى اعطيت لجده محمد على • وختمت البرقية برجاء الدولة العثمانية ان يعطى الخديوى لممثليه الاوامر الضرورية بأن يسلموا هذه الموانىء الثلاثة للموظفين الذين سيعينون لهذا الغرض من ولاية الحجاز (١٧) •

حالما وصلت البرقية للخديوى واطلع عليها القنصل العام البريطانى كرومر أوصاه الاخير بأن يجيب الدولة العثمانية بـ « انه لا مانع من تسليم هذه الاماكن للدولة العثمانية على شرط ان تتخلى الدولة عن سيناء للخديوى » (١٨) •

لقد اضطر الاتراك وهم يعرفون أن الخديوى ليس له سلطة حقيقية، وأن السلطة بيد الانجليز ، الى الدخول فى مفاوضات مع الاخرين على أمل الوصول الى تسوية للمشكلة • ولذلك فان سفيرهم فى الندن (رستم باشا) قام بمحاولتين لدى وزارة الخارجية البريطانية من أجل تصفية النزاع جاءت المحاولة الاولى فى الرابع من فبراير ١٨٩٢ عندما اتصل رستم بمستر فين W.fane احد موظفى وزارةالخارجية البريطانية • ففىالاجتماع الذى عقد بينهما ، شرح رستم شرعية الادعاءات التركية بامتلاك ضبا والمويلح والعقبة • ثم احتج على ارسال الكتيبة المصرية تحت قيادة الضباط الانجليز قائلا أن المصريين قد سمح لهم فى الماضى بارسال جنود غير نظاميين فقط (باشى بازوك) ، ولذلك فانه يجب أن ينسحبوا مع الحاميات المصرية من هذه الاماكن (١٩) •

كان وصول الكتيبة المصرية فى الحقيقة الداعى لان يصرح الصدر الاعظم بأن الحكومة المصرية تخطط لتوسيع اراضيها على حساب ولاية الحجاز « أن المصريين لم يفكروا فى الانسحاب من العقبة بل انهم يقترحون اعادة احتلال نقاط معينة على الساحل الحجازى » • وختم الصدر الاعظم قوله بأن دولته ستقاوم مثل هذه الخطوة بالقوة اذا لزم الامر (٢٠) •

اما المحاولة الثانية فقد جاءت عندما اتصل السفير رستم بوزير

الخارجية البريطانية ساليزبرى Salisbury فى حوالى الخامس من فبراير ١٨٩٢ م • فقد تكلم رستم مع وزير الخارجية عن الاساس الذى تبنى حكومته مطالبتها لهذه الاماكن عليه ، واكد أن الحدود المبينة عـلى الخارطة التى ارفقت بالمرسوم السلطانى المؤرخ فى الاول من يونيه ١٨٤١ والموجودة الان فى القاهرة ، تبين أن حدود مصر هى ما وراء الخـط المستقيم الواصل بين العريش ومدينة السويس (١٢) • لقد ابدى وزير الخارجية البريطانى استعداده للدخول فى مفاوضات حول الموضوع ، وحول ما اذا كان يجب أن تكون الحدود التركية تبدأ من العقبة أو من السويس • (٢٢)

بعد هذه المقابلة ارسل وزير الخارجية البريطانى برقية الى كرومر يسأله عن رأيه فى الموضوع وبحثه على تزويده بنسخة من خارطة عـام ١٨٤١ م اذا كانت لا تزال موجودة : « سأكون سعيدا اذا ما اخبرت عن ما اذا كانت نقطة الحدود بين مصر والدولة العثمانية هى العريش-السويس وزودت بنسخة من الخريطة المذكورة ان امكن العثور عليها • اضافة على ذلك طلب الوزير كرومر أن يخبره عن الملابسات التى أدت الى ضم سيناء والشاطىء الشرقى للبحر الاحمر حتى الوجه لمصر وعلى اية اساس (٢٣)•

حالما استلم كرومر برقية ساليزبرى فىالسادس من فبراير اجابةببرقية ذكر فيها قائلا ان الخارطة الملحقة لفرمان سنة ١٨٤١ لم توجد واعطى رأيه حول الموضوع قائلا « انه ليس هناك ادنى شك فى ان الخارطـات العادية المطبوعة منذ مدة طويلة تضع جزيرة سينا وارض مدين داخـل الحدود المصرية » واننى الفت نظر سيادتكم الى الاسطر الختامية من الفقرة الثانية من الفرمان الصادر فى عام ١٨٧٩ م ، وانه ليس هناك مجـال للنزاع فى ان الاراضى المذكورة اعلاه داخلة فى املاك معالى الخديوى حتى قبل فرمان ١٨٧٩ م بمدة طويلة » •

وفى ختام برقيته قال كرومر أنه لا يعتقد بأن من المصلحة السماح للباب العالى بأن يمد حدوده حتى السويس ، وان المفاوضات هى افضل طريقة للوصول الى تسوية مع الاتراك بخصوص الحدود الشرقية لمصر ، •(٢٤)

لقد كانت الدولة العثمانية في الحقيقة تمتلك نسخة من خارطة سنة ١٨٤١م وقد وافق الصدر الاعظم في بادىء الامر على ان يسلمها للحكومة البريطانية ، ولكنه غير رأيه وانكر وجودها بناء على امر من السلطان عبد الحميد . والسبب في ذلك انه اكتشف ان هذه الخارطة تتعارض مع فقرات من اتفاقية لاحقة ، هي اتفاقية قناة السويس مما قد يجعلها تساعد على خلق مصاعب جديدة للدولة وتضر بالدعوى التركية بدلا من ان تفيدها (٢٥) .

في التاسع من فبراير ١٨٩٢ م ارسل كرومر برقية ثانية مؤيدا فيها اراءه السابقة وموضحا انه من المستحيل العثور على نسخة من خارطة ١٨٤١م ، اذ أنه قيل أن محمد على قد احرقها عندما استلمها ، سخطا على الدولة التى حرمته من المكاسب التى احرزها على حساب الدولة العثمانية . لقد اعترف كرومر ان منطقة الحدود المختلف عليها وهى العريش والسويس كانت تشكل جزءا من باشوية عكا التى لم تعط ابدا لمحمد على ، ولكنه قال ان المصريين لم ينسحبوا على ما يظهر من سيناء او ارض مدين (٢٦) .

رغم ذلك استجاب الخديوى في العاشر من فبراير فجأة لطلب الاتراك وامر حاميته في كل من ضبا والمويلح بالانسحاب الفورى . اما بخصوص العقبة فلم يسحب جنوده منها بل كان يرى أنه يجب أن تدخل الاطراف المعنية اولا في مفاوضات من اجل الوصول الى حل لمشكلتها (٢٧) .

ويبدو ان ابقاء الخديوى على ميناء العقبة لم يكن راجعا الى اهمية بالنسبة للموانىء الاخرى ، وانما لكى يساعد على ذلك على تعيين الحدود بين الاتراك والمصريين ، اذا أن هذا الميناء هو اقصى الموانىء التى كان يطالب بها الاتراك من ناحية الشمال .

في حوالى الحادى عشر من فبراير ارسل الممثل العثمانى في مصر مختار باشا برقية الى حكومته يشير عليها بان تتخلى عن اية مطالبات بجزيرة سيناء . فاجابه الباب العالى بانه لا يمانع من ان تكون الحدود الى رأس خليج العقبة داخل الحدود التركية (٢٨) .

لقد ضايق الاتراك كثيرا تأخر المصريين في تسليم العقبة ولذلك فانهم صاروا يفكرون في الاستيلاء على هذا الميناء بالقوة • بهذه الطريقة كانوا يأملون على حد قول كرومر ان يواجهوا الحكومة المصرية بالامر الواقع • وقد سمع كرومر بنية الاتراك هذه لذلك اقترح ارسال السفينة الحربية البريطانية التي كانت انذاك راسية في مدينة السويس الى العقبة، واعطائها التعليمات بأن تساعد الحامية المصرية هناك في عدم تسليم الحصن حتى تتسلم الاوامر بذلك من القاهرة (٢٩) • رغم ذلك فان هذه السفينة لم ترسل على مايبدو للعقبة لان الاتراك لم يضطروا الى محاولة اخذ العقبة بالقوة لوصول الطرفان الى تسوية للمشكلة • كانت هذه التسوية تتضمن تسليم العقبة للاتراك مقابل موافقة السلطان على ان تدار سيناء بواسطة الخديوى ، تماما كما كانت تدار بواسطة الخديويه ايام والد الخديوى وجده ، (٣٠) •

بعد هذه التسوية كتب الخديوى للحكومة التركية معبرا عن شكره وطاعته للسلطان ومعلنا انسحاب جيوشه من العقبة (٣١) • وقد تم انسحاب الحامية المصرية التي تتكون من ضابط وعشرة جنود في الثالث عشر من ابريل ١٨٩٢ الى مكان يسمى (موتابى) على الشاطىء الغربى من خليج العقبة (٣٢) • وبناء على التسوية الجديدة فان الحكومة المصرية ستدير منطقة سيناء التي تقع غرب خط اصطلاحى يمتد في الشمال من نقطة شرقى العريش مباشراة الى رأس خليج العقبة جنوبا (٣٣) •

لقد بدا انذاك ان النزاع الاقليمي الذى عكر صفو العلاقات التركية المصرية طيلة الثمان سنوات الماضية او ما يقاربها يوشك على نهايته • ذلك ان الاتراك قد حصلوا على ما كانوا يهدفون اليه منذ سنين عدة ، وهو اخراج المصريين من شمال الحجاز ، كما ان المصريين كانوا بدورهم على مايبدو مقتنعين بأن يحصلوا في الاخير على شيء يشبه الحدود الثابتة مع الاتراك ولاول مرة فى تاريخهم بعد أيام محمد على •

هذه الاتفاقية رغم ذلك لم تدم فى الحقيقة اكثر من عشر سنوات • ففى سنة ١٩٠٣ دخل فجاة عامل جديد ، وهو بناء الخط الحديدى الحجازى ، ليثير النزاع من جديد وبصورة اشد حول مسالة الحدود بين

البلدين . كان لاثارة هذا الموضوع من جديد دلالة خاصة ، اذ أنـــه اعطى الاتراك القناعة بأن عليهم في هذه المرة الا يقفوا عند حد معين في طلباتهم حتى يصلوا الى الحدود القديمة لولاية الحجاز ، اى حتى يدخلوا العريش وجزء كبير من سيناء تحت سيطرتهم (٣٤) .

لقد سبق أن أعلن الاتراك في سنة ١٨٩٢ أن منطقة نفوذهم تشمل معظم سيناء وحتى بلدتي السويس والعريش . ولكنهم انذاك اختاروا ان يركزوا جهودهم للحصول على الاماكن الاكثر قربا وحساسيــة ، والاهم استراتيجية بالنسبة للاماكن المقدسة ، تاركين موضــوع سيناء والسويس والعريش الى مناسبة اخرى (٣٥) . وحتى السلطان نفسه في مرسومــه الصادر في سنة ١٨٩٢ بين ان الحدود المصرية تقع غرب السويس والعريش، الا انه تراجع عن ذلك عندما احتجت بريطانيا على هذا التحديد وقبل خط العقبة-العريش . ولكن عندما اثيرت مسألة الحدود ثانية صار هذا المرسوم الاساس لخلافات سنة ١٩٠٣ .

لقد اخذ النزاع الجديد صبغة جديدة عما كان عليه في السابق،ففي هذه المرة اخذت الحكومة البريطانية علنا على عاتقها الدفاع عن ممتلكات الخديوى والحاكم الاسمى لمصر ، بدلا من الاكتفاء بتدبير الامور خلــف الستار باسم الخديوى (٣٧) .

ان الشعور بعدم الثقة والذى صار يزداد لدى الحكومة البريطانية تجاه السلطان عبد الحميد منذ أواخر القرن التاسع عشر كان سببه ربط الاخير نفسه بعلاقات ودية مع الالمان من جهة وعزمه على مد خط حديد الى الاماكن المقدسة،مارا بالعقبة ، مع مسح للمنطقة ما بين العقبة والعريش من جهة أخرى . ان مثل هذا الخط ، في نظر بعض المسئولين البريطانيين ، سيكون له مضار كبيرة على المصالح البريطانية على راسها انه سيسهل عملية نقل الجيوش مما قد يشجع الاتراك على غزو مصر . فمثلا نجد أن الكولونيل مانسل **Maunsell** الملحق العسكرى البريطاني في استانبول يعتقد بأن الدوافع وراء هذا الخط هي استراتيجية بحتة ولا دخل للدين فيها ، وانها لن تمتد الا الى العقبة (٣٨) . ولكن مستر مانسل رغم ما يراه من أهمية لهذا الخط بالنسبة للاتراك ، وانه لو نفذ سيساعد الاتراك فعلا على

حشد جيوشهم فى العقبة والعريش ، اذا ارادوا الهجوم على الاراضى المصرية الا انه مقتنع بعدم اهميته الاستراتيجية اذا كان الهدف هو الاعتداء عن طريق هذه الاماكن لوقوع العقبة دوما تحت رحمة الاسطول البريطانى فى البحر الاحمر ، وكون العريش مكشوف للعمليات البحرية من البحـــر الابيض . ويستنتج مانسل ان الاتراك ما قاموا بمسح الطريق من العريش الى العقبة الا لاثارة مسالة الحدود مع مصر لمعرفة نقاط الحدود الاكيدة. وقد ذكر مانسل أن كرومر فى خطابه رقم ٤١ المؤرخ فى ١٨ مارس ١٩٠٢ اكد على أن آخر نقطة للحدود المصرية فى سيناء من ناحية الجنوب هـــى العقبة ، ولكن دون أن يوضح ما اذا كان الحصن والقرية داخلان فى هذا التحديد . وكان رأى مانسل حول هذه النقطة بأ الحل هو مد خــــط الحدود المصرية على هذه الاماكن حتى لو لم يذكر ذلك كرومر ، ما دام انه يبدو أن ليس للاتراك اى تواجد هناك (٣٩) .

لقد تجاهل مانسل فى نظرى عمدا كون الاتراك لهم فى الحقيقة ادارة وحامية هناك تحت رئاسة قائمقام ، وذلك من أجل أن تستسهل دولته امر مد حدود مصر لتشملها ، فلا يتصور أن رجلا عسكريا كان يعيش فى قلب الدولة العثمانية ويهتم بهذه المشكلة يجهل وضع بلدة تدار من قبل الاتراك لمدة سنوات .

اما مستر م.فيندلى (القنصل البريطانى فى الاسكندرية) فقد أعطى رايه فى هذا الموضوع متفقا مع مانسل فى بعض النقاط ومختلفا معه فى البعض الاخر . ففى كتاب ارسله لوزير خارجيته اكد أن العقبة تعتبر منذ الثالث عشر من ابريل سنة ١٨٩٢ منطقة تركية ، على عكس العريشـــــ الواقعة داخل الحدود المصرية . وفى نظره ان الخط الحديدى المزمع بناؤه له جوانب ايجابية وجوانب سلبية بالنسبة لمصالح دولته . ففى الجانب السلبى يرى أن الاتراك سوف يعزفون عن المرور فى قناة السويس وبالتالى فانهم سيوفرون على انفسهم دفع رسوم المرور لمصر . واما الايجابى فهـــو يرى أن الاتراك سيضطرون الى بناء محجر صحى خاص بهم فى العقبة او فى اى مكان آخر مما سيكون له اثر على تخفيف الضغط عن المحجر الصحى المصرى فى الطور ، وبالتالى الحد من المصاريف التى كانت تصرف عليه .

وقد وافق فيندلى راى مانسل فى أن للخط اهدافا استراتيجية ، ولكنه

يبدى شكوكه فى أن يكون للاتراك نية فى الاعتداء على ارض مصريـــة بسبب قـوة الطبيعة فى سيناء وصعوبة تسيير جيش عبر صحاريها الوعرة الخطرة ، وكون ميناثى العقبة والعريش مكشوفين للعمليات الحربية • وهو يرى أنه ليس هناك مشكلة فيما لو أرادت حكومته الحاق العقبة بالارض المصرية كما يقترح مانسل ، ولكن فى هذا ارتكاب خطيئة ازاحة جار لحد جاره • ولذلك فهو ينصح بعدم القيام بمثل هذه الخطوة (٤٠) •

ولو أن هذا الموضوع انتهى كما بدأ بدون حدوث صراع أو حتى مباحثات مع الاتراك ، فقد بدا من الواضح ان المشكلة ستظهر أن عاجلا أم اجلا مرة اخرى • وهذا هو ما حدث بالفعل ، اذ انه بعد سنتين فقط ظهرت مشكلة الحدود ولكن بصورة اكثر خطورة من ذى قبل حيث كادت أن تجر بريطانيا وتركيا الى الحرب • وعلى عكس ما كان يحدث فى السـابق/ان بريطانيا فى هذه المرة هى التى بعثت مشكلة الحدود • كانت بريطانيا تريد مبررا لاثارة المشكلة ، لذلك فقد وجدت فى مسألة الامن فى سيناء ضالتها فارسلت موفدا من قبلها الى قرية النخل ليزودها بمعلومات عن وضع الامن هناك • وقد اعطته قوة صغيرة لتكون تحت تصرفه وامرته بأن يبنى دار حكومة ومسجدا وقلاعا فى ذلك المكان • تلت هذه الخطوة وبعد مدة قصيرة تعيين هذا الموفد رسميا قائدا ومفتشا لسيناء • ولو أن هذا العمل يبدو من ظاهره عمل ادارى بحت ، هدف منه تنظيم وضع المنطقة وايجاد نوع من الرقابة على تصرفات البدو هناك ، الا أن الحكومة التركية شككت فى نوايا البريطانيين واعتقدت ان هدفهم من ذلك التدخل فى مشروع الخط الحديدى الحجازى (٤١) •

لم ينته الامر عند هذا الحد بل ازداد سوءا عندما أوعزت بريطانيا لموفدها بأ يقوم ببناء مركز بريطانى على مشارف العقبة • وقد حــاول المفتش البريطانى تنفيذ امر حكومته هذا ولكن قائد العقبة التركى رشدى باشا منعه من ذلك واعاده من حيث اتى • عندئذ اخبر المفتش حكومته بما حدث فارسلت تطلب من السلطان أن يوافق على تعيين لجنة مشتركة لتحديد الحدود بين سيناء وولاية سوريا ، فلم يأبه السلطان لهذا الطلب (٤٢) • أما الصدر الاعظم فقد اصدر بيانا بمناسبة طلب البريطانيين هذا ، وذلك فى التاسع من يناير ١٩٠ اكد فيه انه ليس هناك من داع الى تعيين مثل

تلك اللجنة لان مصر ليست بلدا أجنبيا وانما هي جزء من الدولـــة العثمانية • ولم يكتف الصدر الاعظم بذلك بل انه اوعز الى حاكم العقبة التركي بمنعهم من بناء مركز قرب العقبة وان حدث وتمكنوا من بنائه على حين غرة فان عليه أن يقوم بهدمه • ولدعم موقفه هذا اقترح الصـــدر الاعظم بان تؤخذ الاستعدادات اللازمة للدفاع عن المنطقة • وذلك بارسال قوات اضافية للعقبة وارسال سفن حربية للدفاع عن شواطئها • وقــــد أوكلت المهمة للجيش الخامس التركي (٤٣) •

وبما أن السلطان قد تجاهل طلب تحديد الحدود ، فقد ارسلــــت الحكومة البريطانية سفينة تحمل قوة صغيرة تحت قيادة براملي بـــــاى قائد ومفتش سيناء واعطته الاوامر لانزال هذه القوة في مكان يسمى طابا ، قرب العقبة • وقد نجحت هذه القوة في ذلك رغم محاولة قائد العقبة التركي منعها من ذلك (٤٤) • ويبدو أن الدافع وراء هذه الخطوة هو اما خوف البريطانيين من أن الاتراك ينوون مد فرع لخط الحديد الحجازى يصل الى غربي العقبة وربمــــا حتى السويس ، أو الى كونهم يريدون ان يضعوا نهاية لاى ادعاءات تركية في الاراضي المصرية •

لقد ارادوا باتخاذهم لهذه الخطوة أن يبنوا للاتراك ــ الذين أوضحوا أن لهم ايضا اهتماما كالبريطانيين في قناة السويس نظرا لممتلكاتهم على البحر الاحمر (٤٥) ــ انهم عازمون في هذه المرة على عدم التنازل عن أى شبر من الاراضي المصرية ، وانهم لن يقبلوا أى تعديل على اتفاقية سنـــة ١٨٩٢ •

حالما نزلت هذه القوة الصغيرة في طابا ارسل الصدر الاعظم الى الخديوى برقية يشتكي فيها من هذا التصرف • فاستجاب الخديوى لذلك بامره على هذه القوة بالانسحاب الى جزيرة فرعون القريبية • ولكـــن رغم استجابته لتشكي الصدر الاعظم الا أن رده عليه كان يتضمن تأكيده على أن طابا كانت منذ مدة طويلة تدار بواسطة السلطات المصرية ، كمـــا اشار الى أن برقية سنة ١٨٩٢ قد أثبتت ابقاء الامر على ماكان عليه بالنسبة لسيناء • وبالمقابل قام مختار باشا ممثل السلطان في مصر بتقديم تقرير الى الحكومة المصرية أكد فيه على أن خط الحدود من الفريكان يقع على السويس

ـ العريش ، وورد فيه ماقيل في اكثر من مناسبة من أن مصر هي في الحقيقة جزء من الدولة العثمانية ولذلك لا داعي لتعيين حدود بينهما (٤٦) .

عندما قرأ الخديوى الذى كان يميل الى الاتراك والذى كان يراسلهم سرا عكس مراسلاته الرسمية لهم (٤٧) هذا التقرير ارسل خطابا سريا للصدر الاعظم عبر فيه عن ميله لدعوى الاتراك ، وبين فيه أن أمـــر تحليل الفرمان يقع في يد الجهة التى اصدرته . وكان رأيه ان اى بلد يترك احد مناطقه تدار بواسطة بلد اخر له الحق فياستعادتهامتى شاء اذا مارغب في ذلك ، ولمح الى انه لولا الوجود البريطاني في مصر لجعل الاتراك يأخذون ما يريدون . وقد اقترح بان يرسل له الباب العالى برقية يحدد فيهـــا حسب رأيه المنطقة التى يجب ان تدخل ضمن حدود الحجاز في نفس الذى يعين فيه النقاط التى يجب ان تقف عندها الحدود المصرية . واقترح ان تكون هذه على شكل اوامر تبدو وكأنها قطعية ، وأن يلتفتوا الى اجابته بالرفض (٤٨) .

بعد انسحاب المصريين من طابا احتلها الاتراك ، هذه الخطوة التى كانت كفيلة بان تجعل اللورد كرومر ــ الذى ازعجه الحماس الدينى في مصر للاتجاه الاسلامى الذى كان ينادى به السلطان عبد الحميد ــ يصرح بأنها محاولة مقصودة من جانب الاتراك لكى يمدوا حدودهم الى القنـــاة (٤٩) .

في اوائل سنة ١٩٠٦ طلب السلطان عبد الحميد انسحاب الجيوش المصرية من بعض النقاط في جزيرة سيناء على اساس ان تحل محلها الجيوش التركية . ولم يقتصر الامر عند هذا الحد وانما طالب ايضا بانسحـاب المصريين من جزيرة تيران ، المكان الوحيد المناسب لرسو السفن في خليج العقبة . وكان رد فعل بريطانيا حول هذه المطالب هو ما ذكره السير ادوارد جراى وزير الخارجية البريطانية من أن « مسألة الحق لهذه الاماكن اعتمدت على الاستعمال الطويل لها ، وما اثبتته برقية الصدر الاعظم المـؤرخة في الثامن من ابريل سنة ١٨٩٢ التى يفهم منها انها تعطى الخديوى الحق في ادارة سيناء بنفس الطريقة التى كانت تدار عليها بواسطة ابيه وجده » . وقال « ان فعل الاتراك هذا انما هو اخلال دونما سبب لهذه الاتفاقية التى

دامت لمدت سنين » (٥٠) • وقد اشار جراى الى أن اللورد كرومر رأى في مطالب الترك هذه ومحاولتهم مد حدودهم الى القناة هدف واحد ، وهو مد خط حديد يصل الى حافة القناة ، يكون له كبير الاثر على تهديد سلامة مصر وحرية العبور في القناة • اضافة على ذلك فأن تنفيذ رغبة الاتراك سيؤدى الى تقسيم سيناء وجعل خليج العقبة ـ المناسب لقوارب الطوربيد ، والواقع على مسافة مناسبة لضرب الخطوط البريطانية الى الهند ـ في يد الاتراك • ولو تحقق ذلك لاصبحت الحدود التركية لا تبعد اكثر من مائة ميل فقط من قناة السويس ، وعلى مقربة من بلدة النخيل الاستراتيجية ، ولا انتقلت السيادة على قبائل كانت منذ القدم تحت الحكم المصرى الى الحكومة التركية (٥١) •

لذا اقترحت الحكومة البريطانية تكوين لجنة مشتركة لتحديد الحدود ، ولكن الاتراك رفضوا ذلك • واقترح الخديوى على الحكومة التركية اتخاذ برقية سنة ١٨٩٢ اساسا للتسوية ، لقد كان يرى الخديوى ان خط الحدود يجب ان يمتد من رفح الى نقطة على ساحل البحر الاحمر ، تبعد ثلاثة اميال غرب العقبة • ولكن الصدر الاعظم لم يوافق ايضا على اقتراح الخديوى ، واشار الى أن خليج العقبة وجزيرة سيناء يقعان خارج المنطقة التى عينها المرسوم السلطانى ضمن اراضى مصر ، وان برقية سنة ١٨٩٢ انما كانت تخص الجانب الغربى فقط من جزيرة سيناء • هذا بالاضافة الى ان ايضاح او تفسير تلك البرقية انما هو من اختصاص الحكومة التركية قائلا « ان صيغة رد الحكومة التركية غير طبيعى ، لا منحيث نغمتها التى لا تريـــد تسوية ، ولا من حيث حذفها العبارات المجاملة المعتادة » (٥٣) •

وقد ذكر ايضا أن كرومر توصل من رد الصدر الاعظم الى استنتاج أن السلطان وحده الذى يمتلك الصلاحيات المطلقة فى تفسير برقية سنة ١٨٩٢ ، وعلى حسب الشىء الذى يناسب هواه • ان أقل ما يمكن أن يقال عن ذلك الرد ان السلطان يدعى ملكية جميع الشاطىء الغربى لخليج العقبة وجزء كبير من سيناء (٥٤) •

على اية حال ، فى الحادى عشر من ابريل سنة ١٩٠٦ قام احمدشفيق باشا (٥٥) وهو احد الضباط المصريين الكبار ـ برفقة والدة الخديوى فى

زيارة الى استانبول وقد اعطى التعليمات لكي يشرح وجهة نظر الخديوى بالنسبة لمشكلة الحدود • واثناء اقامته هناك قابل السفير البريطانى الذى اخبره بانه طلب من الحكومة التركية سحب قوتها من طابا كخطوة أولى لحل المشكلة ، ولكن رد الاخرين كانت محاولتهم ايضا احتلال جزيـــرة فرعون ، تلك المحاولة التى فشلت بسبب احتلال المصريين لها قبلهم ، بالاضافة الى وجود سفينة حربية بريطانية هناك • كذلك فهم الباشا من السفير أن الحكومة البريطانية مصرة على انسحاب الاتراك من طابا اذ انه في نظر السفير لو تسامحت بريطانيا هذه المرة لتدخل الاتراك في المستقبل فى كل شيء (٥٦) •ولكن الاتراك بدلا من الانسحاب من طابا ــ كما كان يتوقع ويرغب البريطانيون ــ قاموا بخطوة جديدة ساهمت فى تعكيـــر علاقات الطرفين وكانت من أهم الاسباب التى عجلت بحل مشكلة الحدود التى دامت لعدة سنين • هذه الخطوة هى احتلالهم لمدينة رفح على البحر الابيض المتوسط وازالتهم لعلامات الحدود هناك • كان رد فعل بريطانيا هو ارسالها لسفينة حربية الى رفح تحت قيادة ويموث

ويصحبه أحد كبار الموظفين المصريين • عندما وصل الاثنان هناك فى ٢٨ ابريل سنة ١٩٠٦ أرسل ويموث احتجاجا الى قائد القوة التركية طالبا منه فيه أن يعيد علامات الحدود على ما كانت عليه فى السابق وان يتقيـــد بالحدود القديمة (٥٧) •

لقد توصلت الحكومة البريطانية الى الاستنتاج بأن المسألة ليســت مسألة ادخال بعض التعديلات على الحدود ، وانما هى السماح للاتراك بوضع يمكنهم من تهديد مصر وحرية العبور فى القناة • وكان رأى جراى بأن الاتراك لم يحركوا هذا الموضوع الا لاحد امرين المناورة ليردوا رد فعل الطرف الاخر ، وانما يبيتون شرا لمصر • لذلك فهو يرى انه لا بد مـــن توجيه انذار لهم يوقفهم عند حدهم • وقد كتب فى هذا الصدد يقول : « أنه من الواضح أن عبد الحميد يريد انذارا ، اننى لا استطيع أن اتخيل لماذا حرك هذا الموضوع اصلا ، الا اذا كان ذلك نابعا من طبيعة الاتراك الذين يوجدون المشاكل فقط من اجل المناورات التى عادة تتلو ذلك •فاذا لم يكن فى نية عبد الحميد الاعتداء الحقيقى على مصر ، فلماذا يثير أساسا المشاكل حول سيناء التى لا تساوى كل هذا الامر • اما اذا كان ينوى

الاعتداء ، فلا بد أنه يعرف اننا سنأخذ الامر بالجدية الذى تسحقه وانه سيضطر الى الاذعان فى النهاية ... أما عن السبب فى كون عبد الحميد يريد انذارا ، فهذا شيء يصعب التنبؤ به ، ولكن بما أنه من الواضح يريده فلا بد من طرقه به » (٥٨) .

لذلك ارسلت الحكومة البريطانية انذارا سلمه السفير البريطانى فى استانبول الى الصدر الاعظم ، قالت فيه انه ان لم تذعن تركيا للمطـالب البريطانية المرفقة فى خلال عشرة ايام فان الموقف سيصبح فى منتهـى الخطورة - هذه المطالب هى انسحاب الاتراك من طابا ورفع واعادة علامات الحدود الى وضعها السابق (٥٩) . ولكى يضع البريطانيون ضغطا اضافيا

على الاتراك قاموا بالتهديد بأنهم سيوسعون قاعدة طلباتهم ، بحيث تشمل مسائل مثل ابعاد الممثل التركى عن مصر والسماح لمصر بطبع عملتهابنفسها (٦٠) . حالما اصدر البريطانيون انذارهم قاموا بارسال سفينة حربية الى خليج العقبة ليظهروا جديتهم فى الامر كما قاموا بتحريك اسطولهم في البحر المتوسط نحو الشرق وبدأوا الاستعداد لاتخاذ الخطوات اللازمة بعد انتهاء مدة الانذار (٦١) لقد راى الاتراك بعد تردد دام لعدة ايام ان لافائدة من رفض الانذار البريطانى . كانوا يعلمون جيدا ان الدول الخارجية راضية عن العمل البريطانى ، ولذلك فليس هناك اى امل في الحصول على مساعدة خارجية - لهذا وقبل انتهاء مدة الانذار مباشرة اذعن السلطان عبد الحميد للمطالب البريطانية . تلى ذلك ارسالالحكومة التركية مذكرة الى السفير البريطانى متضمنة عدة نقاط هى : انها لاتعارض ماجاء في برقية ٨ ابريل سنة ١٨٩٢ ، وانها توافق على تعيين لجنة مشتركة لتعيين الحدود على أساس الابقاء على الوضع الراهن ، كما ورد فى تلك البرقية ، وأن يمتد خط الحدود بشكل مستقيم نسبيا من رفح الى نقطة لا تقل عنثلاثة اميال غرب العقبة . وكانت نتيجة هذه التغيرات هو تثبيت الجانبين لخط الحدود الذى عين في سنة ١٨٩٢ (٦٢) . وقد كتب جراى عن هذاالموضوع « لقد ذكر بان خط الحدود المقترحمنجانب الحكومتين البريطانية والمصرية هو ان يكون على خط مستقيم نسبيا من مكان يسمى رفح الى قرب العقبة. ومثل هذا الخط في الحقيقة ليس فيه تحيزضد الاتراك او اضرار بمصالحهم . انه من الصعب تحديد موقف عبد الحميد المتشدد حول هذا الموضوع .

لقد كانت يافا فى منأى من أى نقطة من الحدود ولم تفكر مصر مطلقــا بادعائها او حلمت في مثل ذلك • ولو اثيرت يافا فعلا في مسألة الحدودلكان بمثابة اعتداء واضح على تركيا • اننى لا استطيع الجزم بأن عبد الحميد حقيقة اختلط عليه الامر بين رفح ويافا ، ولكن ليس من المستبعد ان يكون قد حصل مثل هذا الالتباس في العقلية السلطانية ، وان المشكلة التـــي دامت عدة شهور كان بالامكان حلها لو عقدت محادثات استعملت فيها خارطة ••• وعلى اية حال فان عبد الحميد قد لايؤمن في الخرائط ولو قدمت اليه لاعتقد انها ما صممت ورسمت اساسا الا من اجل الخديعة » (٦٢) •

ان الحقيقة التى لا غبار عليها تؤكد ان المصادر التركية لم تظهر مطلقا مثل هذا الالتباس بين رفح ويافا ، بل أنها دائما توضح موقع رفح بما تذكره من انها قرب العريش • لذلك فان السلطان عبد الحميد لم يلتبس عليه الامر كما رأى وزير الخارجية البريطاني ولو حصل له مثل ذلك فعلا لكان بالامكان تصحيحه من احد اعضاء حكومته • اضافة الى ذلك ، فـــان الاتراك كانوا يستعملون الاحرف العربية التى لا تبيناىتقارب لا فياللفظ ولا في الكتابة بين الكلمتين•واخيرا ،فانه كما مر بنا فان اهتمام عبد الحميد لم يكن مركزا على رفح فقط وانما كان في الحقيقة مركزا على مناطق اخرى في جزيرة سيناء مثل طابا وخليج العقبة والسويس •

بعد هذا الحادثة لم يعد الاتراك يثقون بالخديوى ونظامه الذى اصبح اداة طيعة فى يد البريطانيين • أما المصريون،فانهم رغم ذلك استمروايبعثون بالاموال الى الاراضى المقدسة والداخلة تحتالحكم العثمانى • كما استمروا في توزيع الطعام في البيوت التى وضعوها لفقراء الحجاج والمقيمين في مكة والمدينة على طول العام ، هذا اضافة على ما يرسلونه من القمح الــذى ياتى عن طريق الاوقاف • ولم يعارض الاتراك في استمرار ارسال هذه الاشياء ، ولكن عندما وعد الخديوى بتزويد جدة بالماء مرارا في ٢٦ يناير ١٩١٠ أن يحول وعده الى عمل بارساله لاحد المهندسين الالمان الذين كانوا يعملون عنده في مصر لينفذ الخطة ، ارتاب الاتراك من نواياه الخديوى وحالوا دون نجاح المهمة (٦٤) لم تكن نظرة عدم الثقة مقصورة على الاتراك تجاه البريطانيين وانما كانالاخيرونايضا يبادلونهم نفس الشعوروويعتقدون ان للاتراك مخططات معينة في الاراضى المصرية • وقد بلغ هذا الشك أوجه

عندما كونت الحكومة البريطانية في سنة ١٩١٢ لجنة من الدفاع الملكي ليدرس امكانية قيام الاتراك بهجوم على مصر • وقد توصلت هذه اللجنة الى ان الاتراك ليسوا في مركز يمكنهم من القيام بعمليات هجومية في المستقبل القريب وذلك بسبب انشغالهم في الحرب ضد الاحلاف البلقانية (٦٥) •

ان المخاوف البريطانية هذه من تركيا وجدت ما يبررها بعد مدة وجيزة عندما انضمت تركيا الى المانيا ضد بريطانيا في الحرب العالمية الاولى وقامت بحملتها الشهيرة ضد مصر عن طريق شبه جزيرة سيناء •

دكتور صالح محمد العمرو

رئيس قسم التاريخ بكلية الاداب

جامعة الرياض

التعليقات والحواشى والمصادر

١ ـ هؤلاء الجنود كانوا غير نظاميين ويطلق عليهم باشى بازوق ·

٢ ـ يشير بذلك الى الحكومة البريطانية التى احتلت مصر فى عام ١٨٨٢ ·

٣ ـ باشبكانلك ارشيفى (ارشيف رئاسة الوزراء التركيـــة فى استانبول) مصر اراده دفترى (بعد الان سنرمز الى كلمات مصر اراده دفتـــرى بالاحرف م·أ·د·) من حاكم الحجاز الى الصدر الاعظم · رقم ١٢٤٥ ١٠ ربيع الاول ١٣٠٣ ، ٦ ديسمبر ١٨٨٥ ·

٤ ـ خديوى كلمة فارسية على ما يبدو تعنى نائب الملك او السلطان · وقد صار يلقب بها حكام مصر من احفاد محمد على منذ تولية الخديوى اسماعيل على ما يبدو وحتى تحول الخديوية الى ملكية ·

٥ ـ باشبكانلك ارشيفى م·أ·د· (سكرتير السلطان · رقم ١٢٤٨ ٢٥ ربيع الاخر · ١٩ يناير ١٨٨٥ م ·

٦ ـ انظر F. O. 78/54,,2. Cromer to Lansdowne. No. 85, Cairo , 30 June, 1903. P. 153.

٧ ـ انظر F. O. 195 1610 . Jage to white. No. 5 Jidda, 23 Feb. 1888. F. O. 78/5260, Foriegn office, 13 Jan. , 1892 (Boundaries between Turke and Egypt in Asia 1892 - 1902) .

٨ ـ انظر 0F. O. 78/5260. F. O. 13 Jan. , 1892 (Boundaries.) OP. Cit.

٩ ـ هذه المراسيم اعتاد السلاطين على اصدارها فى حالة تولى خديـــوى جديد ، وذلك اعترافا به واشارة الى أن مصر لا تزال من ضمـــن المتلكات العثمانية ·

١٠- انظر F. Ol 78/5260. Baring to Salisbury. No. 72 Cairo, 6, Feb. , 1892. Cromer, Modern Egypt, London. 1911, P. 667.

١١- باشبكانلك ارشيفى م٠أ٠د (من والى الحجاز ٠ رقم ١٤٢٨ ، ٢ ربيع الاول ١٣٠٩هـ ، ديسمبر ١٨٩١م ٠

١٢- المصدر السابق ٠ ١٤٥١ ٠ رجب ١٣٠٩ يناير ٢٨ ، ١٨٩٢م ٠

١٣- انظر Cromer, OP. Cit, P. 668.

١٤- انظر F. O. 78/5250. No. 59, Cairo Feb. , 9, 1892 ,

١٥- باشبكانلك ارشيفى م٠أ٠د٠ رقم ١٤٢٦ ، ٢٨ ربيع الاخر ١٣٠٩هـ نوفمبر ١٩ ، ١٨٩١ م ٠

١٦- انه لمن المشكوك فيه الا يكون لدى السلطان وحكومته علم بارسال هذه القوة ٠ والشيء الاكيد ان الوالى كان قد طلب موافقـــة حكومته على قيام محافظ المدينة باسترداد هذه الاماكن ، ولم اجد فى الوثائق التركية ما يثبت انهم رفضوا طلبه ٠ والظاهر انهم انمـا عزو ذلك الى تصرف الوالى ليخرجوا انفسهم من الموقف المحرج ، فالقاء اللوم على والى مقاطعة اسهل من القائه على دولة ٠

١٧- انظر F. O. 78/5260. Inclosure No. 3. in Baring's Despatch No. 73 , Feb. , 12, 1892,

١٨- انظر F. O. 78/5260. Baring to. Salisbury. No. 81. Beb ,

١٩- انظر F.O. 78/5260. Draft. M. Fane. No. 34, Cairo Feb, 11, 1892. P. 62,

٢٠- انظر F. O. 78/5260. Fane to Solisbury. No. 22. Secret, 18 Feb., 1892.

لم اجد ما يؤيد ادعاء الصدر الاعظم أن المصريين اقترحوا أو فكروا في احتلال بعض النقاط على ساحل الحجاز .

٢١ـ انظر F. O. 78/5260 . Salisburg to Baring No. 70. Feb. 5,

٢٢ـ انظر OP. Cit. No. 78. Feb. ,8 1892,

٢٣ـ انظر OP. Cit. No. 0. Feb. 5, 1892.

٢٤ـ انظر OP. Cit. No. 72, Feb. , 6 1892.

٢٥ـ باشبكانلك ارشيفي . م١٠٥٠ رقم ١٤٦١ ، ١٦ رجب ١٣٠٩ هـ ٣ فبراير ١٨٩٢ م .

٢٦ـ انظر

9, 1892.

كانت وجهة نظر المستر فين وهو احد موظفي الخارجيـــة البريطانية البارزين ان سيناء لا تستحق من يتشبث بها ، ولكن وزير الخارجية لم يوافقه على ذلك ويرى أن من الحكمة أن يبقيهـــــا الخديوى تحت حكمه لاعلى اساس فرمان أو مرسوم السلطان وانما على اسس اخرى - ولو أن ساليزبرى لم يوضح ما هذه الاســـس الاخرى ، الا انه يقصد من ذلك اثبات الامر الواقع اى كون سيناء تدار بواسطة الحكومة المصرية منذ مدة طويلة . انظر

F. O. 78/5260 . Salisbury to. Baring No. 109. Feb. 18, 1892,

٢٧ـ انظر F.O. 78/5280. Baring to Salisbury . Cairo

باشبكانلك ارشفي . م١٠٥٠ رقم ١٤٥٦ رجـــب ١٣٠٩ هـ ، ١٠ فبراير ١٨٩٢ .

اـ انظر F. O. 78/5260. Baring to Salisbury. No. 19. Feb. 11, 1892

٢٩ـ انظر OP. Cit. No. 87. March, 1892.

لم اجد فى الوثائق التركية ما يثبت ان الاتراك كانوا ينكرون فى احتلال العقبة بالقوة .

٣٠ـ انظر F. O. 78/5260. Inclosure No. 3, in no . 225, From the Grand vizier to , the Khedive. March26, 1892. وايضا Baring to Salisbury . No. 65. April, 10, 1892.

٣١ـ انظر F. O. 78/5260. Baring to. Solisbury . No. 65 OP Cit

٣٢ـ انظر F. O. 78/5260. M. Findly to. Lansdowne. No. 101, Confidintial. Alexandria. Sept. 18, 1930.

٣٣ـ انظر F. O. 78/5260. Baring to Tigrane pasha. Cairo. April, 13 1892.

٣٤ـ باشبكانلك ارشيفى ٠م١٠د٠ رقم ١٤٢٠ ، ٢٦ ربيع الاخر ١٣٠٩ ١٧ نوفمبر ١٨٩١ .

٣٥ـ المصدر السابق . رقم ١٤٥٤ ، ١١ رجب ١٣٠٣ هـ . ٢٩ يناير ١٨٩٢ م

٣٦ـ انظر Cromer. OP. Cit. P. 668

٣٧ـ عند اصدار مرسوم سنة ١٨٩٢ وضع فيه مبـــدأ جديد وهو أنه لا يجوز ادخال اى تغيير على علاقة السلطان بالخديوى المألوفة دون رضى حكومة صاحبة الجلالة . انظر P.669. المصدر السابق Cromer.

٣٩ـ صحيح انه كانت هناك دوافع استراتيجية وراء بناء الخط الحديدى الحجازى ولكنه ليس بصحيح ان الهدف من مده هو أن يصل الـــى العقبة فقط ، فكما هو معروف انه وصل حتى المدينة المنورة .

٣٩ـ انظر

F. O. 78/5452 Memorandum . By LT. Col. . R. Maunsell, military attche at Constantinopie. Incl. 2 in No. 1 July 9, 1903.

٤٠ـ انظر

F. O. 78/5452. Findly to Lansdowne, No. 101, Elexandria conf. Sept. 18 1903.

٤١ـ انظر

A. Ward and Goach, eds., Cambridge History of British Fori policy, Vol. 3, Cambridge, 1923 P. 379.

٤٢ـ احمد شفيق باشا • مذكراتى فى نصف قرن • جزء ٢ • القاهرة • ١٩٣٦ ص ٧٧ •

٤٣ـ باشبكانلك ارشيفى • دوسيه تصنيفى • انجلترا • عقبة • كويت• نواحى تسع بعد ذلك سـأكتفى بالمختصرات (د•ت•ا•ع•ك•ن•ت) • الصدر الاعظم • رقم ٧٧ فى ٢٧ ذى الحجة ١٣٢٣ يناير ٩ ، ١٩٠٦ •)

٤٤ـ احمد شفيق باشا • المصدر السابق • ص ٧٧ •

٤٥ـ باشبكانلك ارشيفى (د•ت•ا•ع•ك•ن•ت•) المصدر السابق •

٤٦ـ انظر احمد شفيق باشا • المصدر السابق • ص ٧٨ ـ ص ٨٢ •

٤٧ـ المصدر السابق •

٤٨ـ المصدر السابق • ص ٨٣٠ وما بعدها • هذا الموقف الودى من الخديوى تجاه الاتراك قاد مختار باشا لان يرسل برقية الى حكومته معلنا فيها أن مشكلة سينا قد انتهت ، لان الخديوى ذكر بانه لن

يعمل ضد اوامر السلطان • ولكن الصدر الاعظم الذى كان اكثر اتزانا وادرى بالامور من مختار باشا بأهميـــة الموقف ، اوضح أن المشكلة ليست في الاساس ناتجة عن الخديوى وانما وجدت بســـبب بريطانيا • وقد أمر مختار بأن يتابع الامر بجدية حتى يتم التوصل حل حقيقى • انظر باشبكـــانليك ارشيفى (د•ت•أ•ع•ك•ن•ت) الصدر الاعظم • الباب العالى • مكتب الصدر الاعظم • رقم ٧٧ ، ٦ ربيع الاول ، ١٣٢٤ (١٧ ابريل ١٠٩٦) •

٤٩ـ انظر
Ward & Goach (eds.) Cambridge History. OP. Cit, P. 379.

٥٠ـ انظر
Edward Grey, Twenty-five years 1892-1916, Vol. 1, London 1925, P-123.

٥١ـ انظر
Grey, OP Cit, P-124.

٥٢ـ المصدر السابق • ايضا انظـــر باشبكانلك ارشيفى (د•ت•أ•ع• السابق) المجلس الخاص • رق. ٧٧ ، ٢٨ صفر ١٣٢٤ ، ٩ ابريل ١٩٠٦ •

٥٣ـ انظر
Grey, OP. Cit.

٥٤ـ المصدر السابق •
Grey, OP. Cit. P. 125 F.

٥٥ـ مؤلف كتاب مذكراتي فى نصف قرن السابق ذكره •

٥٦ـ احمد شفيق باشا • المصدر السابق • ص ٨٦ •

٥٧ـ المصدر السابق ، ص ٨٧ وما بعدها ٠

٥٨ـ انظر
Grey, OP. Cit, P. 126 F,

انني لا اعتقد بأن الاتراك انما حركوا المسألة فقط من اجل المناورة أو انهم ينوون الاعتداء على مصر ، لانهم كما مر بنا كانوا يحاولون (ونجحوا الى حد كبير)منذ مدة طويلة في استرداد ما يعتقدون بأنها ممتلكاتهم الشرعية ٠

٥٩ـ احمد شفيق باشا ٠ المصدر السابق ص ٨٨ ٠

٦٠ـ باشبكانلك ارشيفي (د٠ت٠أ٠ع٠ك٠ ٠ السابق) رقم ٧٧ ٠ ربيع الاول ١٩ ، ١٣٢٤ ابريل ٣٠ ، ١٩٠٦ ٠

٦١ـ انظر
Grey, OP. Cit P. 126.

٦٢ـ المصدر السابق ٠ وايضا باشبكانلك ارشيف (د٠ت٠أ٠ع٠ السابق)، رقم ٧٧ ١٧ ربيع الاول ١٣٢٤ ، ٢٤ ابريل ١٩٠٦ ٠

٦٣ـ انظر

٦٤ـ انظر
F. O. 195/2350 Abdur Rahman, A report about Pilgrimage for the year 1909-1910, Jidda, May 1, 1910.
Monahan to towther . Jid. No. 22. May 10, 1910.

٦٥ـ انظر
F. O, Copy, scret, 116/Colonies/305/M. O. I. War Office. London, S. W. (WARD to the under-Secretary of state for foreign Affairs. Feb 27, 1913.)